

حريق الذاكرة

في السابع عشر من ديسمبر/ كانون الأول الجاري شاهدت كما شاهد الملايين على التلفاز ألسنة اللهب وهي تخرج من مبنى أثري هام أعرفه جيداً، وحوله صبية يرمونه بالحجارة وزجاجات المولوتوف . وسمعت المذيع وهو يردد المجمع العلمي المصري يحترق فأصبت بحزن شديد وانفعالات كثيرة تداخلت جميعها في اللحظة نفسها . . دهشة واستغراباً وخوفاً وحزناً وأيضاً حيرة

دهشة . . أن المبنى يحترق ولا أحد يحاول إطفاء النار فيه كيف؟ ولماذا؟

. واستغراب . . من استهداف هذا المبنى العلمي بالذات

. وخوف . . على الكنوز العلمية أن تأتي النار عليها

. وحزن . . على تلك النفائس العلمية وهي تعرض محترقة على شاشة التلفاز

وحيرة . . أنني لم أستطع التحدث مع القائمين على ذلك المجمع وهو ما دفعني أن أطلب مداخلة مع قناة دريم برنامج العاشرة مساءً، ولا أكتفي بالحزن والأسف في محاولة لطمأنة النفس وأيضاً طمأنة كل من وقع الحدث في نفسه موقعه مني، وأعلن أنني على استعداد لإعادة بناء المجمع العلمي المصري على نفقتي الخاصة، وأن أزوده بالكتب والمخطوطات التي احترقت، فمعظمها لدي في مكتبتي الخاصة أقدمها هدية دون منّة، وإنما رداً للجميل الذي في أعناقنا لمصر الحبيبة

أما المجمع فهو بالنسبة لي جزء من ذاكرتي، فأنا عضو في المجمع العلمي المصري منذ فترة طويلة، وأعرف مكوناته ومقتنياته وأموراً أخرى لا يعلمها أقرب الناس لذلك المجمع الذي يعدّ إحدى أهم وأقدم الهيئات العلمية في مصر، بل في الوطن العربي

يقع مبنى المجمع العلمي المصري على ناصية تقاطع شارع القصر العيني مع شارع الشيخ ربحان بالقرب من ميدان التحرير، ويعتبر هذا المجمع العلمي أول أكاديمية علمية في مصر، التي أنشأها نابليون بونابرت عند الحملة الفرنسية على مصر، وقد اجتمع المجمع أول مرة في 24 أغسطس/ آب عام 1798 برئاسة غسبار مونج، ويحفظ هذا المبنى بين جدرانه 200 ألف مؤلف، الكثير منها نادر جداً، وتتعلق تلك المؤلفات بتاريخ وجغرافية مصر، كما يحفظ المجمع وثائق إدارية ترجع إلى فترة الوجود الفرنسي وملصقات وكتباً علمية متنوعة وكتب رحلات هولندية وإنجليزية

كذلك يحفظ المبنى بين مؤلفاته النادرة مؤلف وصف مصر في طبعته الأصلية والتي سحبت في ألف نسخة، وكان بونابرت قد اتخذ في 22 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1799 قراراً بجمع كل أعمال العلماء الذين شاركوا في الحملة الفرنسية في مؤلف وضع له عنوان وصف مصر، كما توزع العلماء الذين شاركوا في تلك المهمة في شعب مختلفة على . شاكلة المجمع العلمي الفرنسي: الرياضيات، الفيزياء، التاريخ الطبيعي، الاقتصاد السياسي، الأدب والفنون

وكان للمجمع العلمي نشاط قوي في الفترة ما بين 1798، 1801 وربما كان من أهم أسباب ذلك النشاط هو قائمة الأعضاء الذين ضمهم المجمع آنذاك، ومعظمهم كانوا أسماء لامعة في مجالات العلوم والفنون نذكرهم لدلالاتهم كل في مجاله:

أحد عشر عضواً في شعبة الرياضيات *

نابليون بونابرت نفسه -1

Louis Costaz لوي كوستاز -2

Joseph Fourier جوزيف فوريي -3

Etienne Louis Malus إتيان لوي مالوس -4

Gaspar Monge غاسبار مونج -5

أنطوان فرانسوا أندريوسي -6

Antoine Francois Andreossy

Michel Ange Lancret ميشيل أنج لانكري - 7

Nicollais-Antoine Nouet نيكولا أنطوان نووي -8

Francols Marie Quenot فرانسوا ماري كونو -9

Jacques-Marie Le Pere جاك ماري لويبر -10

Charies Dugat شارل دوغا / دوجا -11

أحد عشر عضواً في شعبة الفيزياء والتاريخ الطبيعي *

Claude Lois Berthollet كلود لوي بيرتولي -1

روني نيكولا دوفريش ديجونيت -2

Rene Nicolas Dufriche Desgenettes

Deodat Gratet de Dolmieu ديودا غراتي دي دولميو -3

إتيان جوفروا سانت ايلير -4

Etienne Geoffroy Saint -Hilaire

Adrien Raffeneau Delile أدريان رافونو دي ليل -5

Jules-Cesar Savigny جول سيزار سافيني -6

هيپوليت فيكتور كولي ديكوتيل -7

Hippolyte_Victor Collet_Descotils

Antoine Dubois أنطوان دو بوا -8

بيير جوزيف دي بوشان -9

Pierre Joseph de Beauchamp

Denis Samuel Bernard دوني صامويل بيرنار -10

Jacques-Pierre Champy جاك بيير شامبي -11

:ستة أعضاء في شعبة الاقتصاد السياسي من بينهم

لوي ماري ماكسيميليان دي كافاريلي دو فالغا -1

Louis Marie Maximilien de Caffarelli du Falga

Jean Lambert Tallien جان لامبير تاليان -2

لوي أليكساندر دو كورانسيو -3

Louis - Alexandre de Corancez

:تسعة أعضاء في شعبة الآداب والفنون *

Vivant Denon فيفان دونون -1

جان باتيست لوبير -2

Jean-Baptiste lepere

Henri-Joseph Redoute هنري جوزيف رودوتي -3

Charles Norry شارل نوري -4

Jean-Constantin Protain جان كونستانتان بروتان -5

Louls Rlpault لوي ريبو -6

Andre Dutertre أندري دو تيرتر -7

جان ميشيل دي فانتو دي بارادي -8

Jean-Michel de Venture de Paradis

Michel Rigo ميشيل ريغو -9

وسرعان ما قلّ نشاط المجمع العلمي المصري بعد خروج الفرنسيين من مصر ثم عاد مرة أخرى إلى نشاطه في سنة 1836 تحت اسم الجمعية المصرية بفضل جهود علماء فرنسيين وإنجليز وألمان

. ونقل مقر المجمع إلى الاسكندرية في سنة 1859 وتحول اسمه إلى المجمع العلمي المصري

كان المجمع يعمل تحت رعاية سعيد باشا نائب السلطان، وكان عدد كبير من أعضائه من العلماء البارزين مثل عالم وعالمي مصر القديمة أوغوست George Auguste Schweinfurth النبات الألماني جورج أوغوست شواينفورت وفيما بعد انضم إلى المجمع أحمد كمال أول Gaston Maspero وغاستون ماسبيرو Auguste mariette مارييت عالم في تاريخ مصر القديم واللغوي أحمد زكي باشا . وعاد المجمع إلى القاهرة سنة 1880 وفي سنة 1918 وضع المجمع بقرار سلطاني مباشرة تحت رعاية القصر السلطاني

وحسب القانون الداخلي للمجمع العلمي المصري يتكون أعضاؤه من خمسين عضواً يقيمون في القاهرة، ويعيّن المجمع أعضاء شرفيين لا يمكن أن يتجاوز عددهم المئة ومراسلين أجانب في عدد غير محدود، وينشر المجمع نشرة . سنوية وبحوثاً تنشر في أوقات غير محدودة، وتتكون موارد المجمع من المنح ومن نتاج بيع نشرياته وبحوثه

. إن من أقدم على حرق المجمع العلمي المصري لا يدرك حقاً مدى الجرم الذي ارتكبه في ذاكرة الوطن